# دور المقالة القصصية في حل المشكلات الاجتماعية

## "اللقيطة" للمنفلوطي ( أنموذجًا )

## دراسة موضوعية وفنية

سمية الرومي- أسماء توفيق الرماح

**مقدمة:**

يتميز الأدب بجميع فنونه بدوره الريادي في توجيه المجتمع، وتغيير مسار الانتماءات فيه، وحل المشكلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تمر به.

وفن المقالة له نصيب الأسد في القيام بمثل هذا الدور. ونلمس ذلك في أثر المقالة السياسية، والمقالة الدينية، والمقالة العلمية، والمقالة النقدية، والمقالة القصصية وغيرها من أنواع المقالات. ولعل للأخيرة دورا متميزا عن غيرها بأسلوبها الذي يجمع بين فنيين نثريين (المقالة والقصة).

أدرك الكتاب تأثير المقالة على المتلقي وقدرتها على إيصال الأفكار في قالب المقالة القصصية. لذا احتلت المقالة القصصية مكانة مرموقة في علاج المشكلات الاجتماعية، وفي بحثنا هذا سوف نتناول "**دور المقالة القصصية في حل المشكلات الاجتماعية**":

وقد وقع اختيارنا على مقالة قصصية لجعلها أنموذجا تطبيقيا لإجلاء هذا الدور، وهي بعنوان (اللقيطة) للكاتب مصطفى المنفلوطي، وقد شدنا أسلوبه الإيحائي المؤثر الذي عالج مشكلة الزنا بطريقة تظهر قدرته الفنية.

لقد أصبح الفن القصصي ذا أهمية كبرى في الآداب المعاصرة، وهو سيد الأدب المنثور بلا منازع، ويرى بعض النقاد أن مرجع ذلك هو القضايا المختلفة التي يسعى أصحابها للتعبير عنها، فأضحى الإنسان محورها ولبنتها الأساسية، ومزّقت الأكفان عن جوانب خفية ذات علاقة وطيدة بصراعه من أجل البقاء في خِضَمِّ عالم مادي جموح أحاله جسدًا بلا روح، ومهما تعدَّدت الآراء تبقى القصة فنًّا جميلاً رائعًا، تحيِّرنا روعته حين تجسد وتؤرِّخ فنيًّا لنموذج بشري أو موقف معيَّن، تاركة في النفوس أعمق الآثار.

**الدراسات السابقة:**

بحث المهتمون بالأدب فن المقالة ومن ذلك كتاب: فن المقالة، لمحمد يوسف نجم وغيره. ولكن لم أقرأ دراسة مماثلة في هذا الموضوع، وكذلك أستاذتي د. سمية الرومي التي اشتركت معها في هذا البحث، وقد شجعتني على هذا الموضوع وأثنت على اختياري له.

فسوف نقوم ببحث دور الأدب في حل المشكلات الاجتماعية، وقد حددنا لهذا البحث المقالة القصصية التي كتبها المنفلوطي بعنوان (اللقيطة). وسيلقي البحث الضوء على أسلوب الكاتب ودوره التأثيري في حل مشكلة الزنا وذلك في مبحثين:

- **المبحث الأول: الدراسة الموضوعية.**
- **المبحث الثاني: الدراسة الفنية.**

**منهج البحث:**

سوف نعتمد المنهج الفني في هذا البحث. وسنحاول الإجابة عن السؤالين التاليين وهما:

هل المقالة القصصية بتقنياتها الفنية لها إسهام في حل المشكلات الاجتماعية؟

وهل استطاع المنفلوطي بأسلوبه الفني واختياره لقصة (اللقيطة) أن يؤثر في المتلقي تأثيرًا إيجابيًا يغير من قناعاته حيال هذا الموضوع؟

وللإجابة على هذين السؤالين سوف نتبع الخطة البحثية التالية. لتحديد دور المقالة القصصية في حل المشكلات الاجتماعية متمثلة في مشكلة اللقيطة.

**خطة البحث:**

- **المقدمة.**
- **تمهيد.**
- **المبحث الأول:** الدراسة الموضوعية.

أولاً: العنوان ودلالاته.

ثانيًا: الأفكار التي عالجها في مقالته القصصية.

أ- مشكلة اللقطاء ومصيرهم المؤلم.

ب- مشكلة الأغنياء وعدم إشرافهم بأنفسهم على تربية أولادهم وتسليمهم للمدارس الأجنبية.

ج- مشكلة احتقار المجتمع للإنسان بسبب وضعه الاجتماعي والاقتصادي الذي غالبًا ليس له يد في صناعته.

- **المبحث الثاني:** الدراسة الفنية.

**أولا:** تعريف المقالة القصصية.

**ثانيا:** أنواع المقالة القصصية.

أ- البنية القصصية الجزئية.

ب- البنية القصصية الكلية.

**ثالثا:** خصائص المقالة القصصية.

**المقالة القصصية ودورها الاجتماعي الإصلاحي:**

**وقفات نقدية على مقالة المنفلوطي القصصية (اللقيطة):**

**أ- الأسلوب:**

ب- **التقنيات الفنية في مقالة (اللقيطة).**

١-السرد.

٢-الشخصيات.

٣-الحبكة.

٤-لحظة التنوير.

٥-المغزى وعلاقته بتقنية الزمان والمكان.

ج- الخصائص العامة للعناصر القصصية في مقالة (اللقيطة):

- **الخاتمة.**
- **وأخير سأذيل البحث بقائمة للمصادر والمراجع.**

**تمهيد:**

سوف أتناول في هذا التمهيد نبذة مختصرة عن كاتب المقالة القصصية وهو ***مصطفى لطفي المنفلوطي.***

**مولده ونشأته:**

هو مصطفى لطفي المنفلوطي المولود في بلدة منفلوط المصرية في السنة ١٨٧٧م. كان والده قاضيًا شرعيًا لبلدته ونقيبًا لأشرافها وزعيمًا لأسرته. حفظ القرآن **في التاسعة من عمره ثم** التحق بالأزهر الشريف حيث أمضى عشر سنوات تلقى خلالها عن مشايخه ثقافة علمية واسعة، وبفضل حبه للأدب والأدباء انصرف إلى تحصيل ما أتيح له منه، فلم يترك ساعة يخلو فيها بنفسه إلا انصرف إلى القراءة فاستطاع أن ينمي ذوقه الأدبي وأن يجمع ثقافة أتاحت له الشهرة التي بلغها في مجال الأدب، حيث أقبل يتزود من كتب التراث في عصره الذهبي، جامعًا إلى دروسه الأزهرية التقليدية قراءة متأملة واعية في دواوين شعراء العصر العباسي مثل أبي تمام والبحتري والمتنبي والشريف الرضي، كما قرأ للكتاب الناثرين مثل عبد الحميد وابن المقفع وابن خلدون وابن الأثير، وأكثر من مطالعة الأغاني والعقد الفريد وزهر الآداب وغيرها، وقد أمدته المطالعات العميقة بزاد ثقافي صقل موهبته في الكتابة الأدبية فكتب مقالاته في الصحف مثل المؤيد حيث نشر مقالات بعنوان نظرات جمعت في كتاب تحت الاسم نفسه على ثلاثة أجزاء.

كان من أبلغ الكتاب في العصر الحديث من حيث رشاقة العبارة ورقة التعبير وتصوير الحوادث تصويرًا حقيقيًا، وهو صاحب القلم البديع الجذاب المتفوق في جميع الأغراض والمقاصد حتى لقب بحق "أمير البيان"، وقد كان لأسلوبه تأثير خاص على النفوس كأنه يكتب بكل لسان ويترجم عن كل قلب.

**صفاته وأخلاقه:**

عن أخلاق المنفلوطي يقول الأديب الناقد حسن الزيات في كتابه تاريخ الأدب العربي: "إنه كان مؤتلف الخلق، متلائم الذوق، متناسق الفكر متسق الأسلوب، سليم الفكر وهو إلى ذلك رقيق القلب عَف الضمير، سليم الصدر، صحيح العقيدة، موزع الفضل والعقل والهوى بين أسرته ووطنيته وإنسانيته".

**سياسته:**

وقد ذكر محمد عبد الفتاح في كتابه أشهر مشاهير أدباء الشرق: ليس له حزب خاص ينتمي إليه ولا جريدة خاصة يتعصب لها وليس بينه وبين جريدة من الجرائد علاقة خاصة حتى الجرائد التي كان يكتب فيها رسائله لم يكن بينه وبينها أكثر مما يكون بين أي كاتب يكتب رسائله، وكانت له مطلق الحرية في اختيار أي صحيفة يتوسم بأن تنشر آراءه وأفكاره فإن لاقاها في شيء من مبادئها ومذاهبها لاقاها مصادفة واتفاقًا، وإن فارقها في ذلك فارقها طوعًا واختيارًا.

كان المنفلوطي يرى أن كل المفاسد الأخلاقية تأتي من تقليد الغرب، فيقول: (أصبحت أعتقد أن مفاسد الأخلاق والمدنية الغربية شيئان متلازمان، وتوأمان متلاصقان، لا افتراق لأحدهما عن صاحبه)[1]

ويترجم المنفلوطي رسالة الأدب معبرا عن **الأدب الكاذب** بقوله:

(كُنّا وكانَ الأَدَبُ حالاً قائمةً بالنَّفسِ تَمنعُ صاحبَها أَنْ يُقْدِمَ على شرٍّ، أو يُحدِّثَ نفسَه به، أو يكونَ عَوْنًا لفاعليه. فإن ساقَتْهُ إليه شهوةٌ من شهواتِ النَّفسِ، أو نزوةٌ من نزواتِ العَقْلِ، وَجَدَ في نَفسِه عند غشيانه من المضَضِ والامتعاض ما ينغّصُه عليه ويُكدِّرُ صفوَه وهناءَه.

ثُمَّ أصبحنا، وإذا الأدبُ صُوَرٌ ورُسومٌ، وحركاتٌ وسكناتٌ، وإشاراتٌ والتفاتاتٌ، لا دخلَ لها في جوهرِ النَّفسِ، ولا علاقة لها بشعورِها ووجدانِها . فأحْسَنُ الناسِ عند الناسِ أدبًا وأكرمُهم خُلُقًا، وأشرفهُم مذهبًا، من يكذبُ على أن يكونَ كذبُه سائغًا مُهَذَّبًا، ومن يخلفُ الوعدَ على أن يُحسِنَ الاعتذارَ عن إخلافه، ومن يبغضُ الناسَ جميعًا بقلبِه على أن يُحبَّهم جميعًا بلسانِه، ومن يقترفُ ما شاءَ من الجرائمِ والذُّنوبِ على أن يحسنَ التَّخلُّصَ من نتائجِها وآثارِها.

وأفضلُ من هؤلاءِ جميعًا عندهم أولئك الَّذين برعُوا في فنّ ((الآداب العالية)) أي فنِّ الرِّياءِ والنِّفاقِ، وتفوَّقوا في استظهارِ تلك الصورةِ الجامدةِ التي تواضعَ عليها ((جماعة الظُّرفاء)) في التحيّة والسَّلامِ، واللِّقَاءِ والفِرَاقِ، والزّيارةِ والاستزارةِ، والمجالسةِ والمنادمةِ

وأمثال ذلك مما يرجعُ العلمَ به غالبًا إلى صغرِ النَّفسِ وإسفافِها، أكثر مما يرجِعُ إلى أدبِها وكمالِها؛ فكأنَّ الناسُ لا يستنكرون من السَّيِّئَةِ إلاَّ لونَها؛ فإذا جاءَتْهُم في ثوبٍ غير ثوبِها أَنِسُوا بها وسكَنُوا إليها؛ ولا يعجبُهم من الحسنةِ إلاَّ صُورتُها؛ فإذا لم تأتِهم في الصُّورةِ الَّتي تُعجِبُهم وتروقُهم عافُوها وزهدُوا فيها، أي أنّهم يُفضِّلون اليدَ الناعمةَ الَّتي تحملُ خِنْجَرًا، على اليدِ الخشنةِ الَّتي تحملُ بَدْرَةً، ويُؤثِرون كأسَ البلّورِ المملوءةَ سُمًّا على كأسِ الخزفِ المملوءةِ ماءً زلالاً.

ولقد سمعتُ بأُذنيَّ من أخذَ يعدُّ لرجلٍ من أصدقائه من السيّئاتِ ما لو وُزِّعَ على الخلقِ جميعًا لَلَوَّثَ صحائِفَهُم ثمّ ختمَ كلامَهُ بقولِه: وإنّي على ذلك أحبّهُ وأجِلّه، لأنّه رجلٌ ((ظريفٌ))!

وأغربُ من ذلك كلِّه أنّهم وضعُوا قوانينَ أدبيَّةً للمغازلةِ، والمعاقرةِ، والمقامرةِ، كأنّ جميعَ هذه الأشياء فضائلُ لا شكَّ فيها، وكأنَّ الرذيلةَ وحدَها هي الخروجُ عن تلك القوانين الَّتي وُضِعَت لها، وما عهدُنا ببعيد بذلك القاضي المصريّ الذي أجمعَ الناسُ في مصر منذ أيَّامٍ على احتقارِه وازدرائِه، لا لأنَّه لعبَ القمارَ، بل لأنَّه تلاعبَ بأوراقِ اللّعبِ في أحدِ أنديةِ القمارِ، وسَمَّوْه لِصًّا دنيئًا، والقمارُ لصوصيّة من أساسِه إلى ذُرْوَتِه!

**مؤلفاته:**

كتب المنفلوطي الكتب التالية:

١- النظرات.

٣- تحت ظلال الزيزفون (مجدولين).

٤- الفضيلة.

٥- الشاعر.

٦- العبرات.

٧- أشعار ومنظومات رومانسية كتبها في بداية نشأته الأدبية.

٨- مختارات المنفلوطي.. وهي مختارات شعرية ونثرية انتقاها المنفلوطي من أدب الأدباء العرب في مختلف العصور.

**مكانته الأدبية:**

لاقت روايات المنفلوطي وكتبه الأدبية شهرة واسعة في جميع الأقطار العربية فطبعت مرات متعددة وتهافت الناس من كل الأعمار والأجناس على قراءتها.. لكن صاحبها لم يسلم من النقد ومن ألسنة النقاد وأقلامهم إذ انقسم الناس حوله بين مؤيد ومعارض وهذا شأن جميع الكبار في ميادين الأدب والفن والسياسة وغيرها.

وكان الأديب اللبناني عمر فاخوري من أشد الناس قسوة على المنفلوطي، فقد قال: إن مذهبه الأدبي غامض وآراءه في صنعة الأدب مبهمة، وإلى جانب هذا النقد الجارح، اتفق مؤيدوه على أن إنشاءه فريد في أسلوبه، وأن ما كتبه كان له أثر كبير في تهذيب الناشئة أخلاقًا ولغة وسلوكًا، فالدكتور طه حسين يقول إنه كان يترقب اليوم الذي تنشر فيه مقالات المنفلوطي الأسبوعية في جريدة المؤيد ليحجز لنفسه نسخته منها وكان يقبل على قراءتها بكل شغف. وقال عنه العقاد إنه أول من أدخل المعنى والقصد في الإنشاء العربي، وفي أدبه برزت (نزعته الأصلية للإصلاح، وغيرته الشرقية).[٢]

لقد أجمع الذين عرفوا المنفلوطي وعاشروه على أنه متحلٍ بجميع الصفات التي كان يتكلم عنها كثيرًا في رسائله وأن أدبه النفسي وكرم أخلاقه وسعة صدره وجود يده وأنفته وعزة نفسه وترفعه عن الدنايا وعطفه على المنكوبين والمساكين ورقة طبعه ودقة ملاحظاته ولطف حديثه إنما هي بعينها كتبه ورسائله لا تزيد ولا تنقص شيئًا.

فالمنفلوطي (ارتقى بالمضمون أو المغزى رقيًا أدبيًا وخلقيًا، اختلف عن السيل الهادر من القصص الرخيص الذي نقله المترجمون أو وضعه المؤلفون) [٣]

**وفاتـــه:**

لم يعمر المنفلوطي طويلاً.. فقد وافته المنية يوم الخميس ١٠ ذي الحجة سنة ١٣٤٢ هـــ يوم جرت فيه محاولة اغتيال الزعيم سعد زغلول حيث نجا من تلك المحاولة لكنه جرح جرحًا بليغًا فانشغل الناس بتلك الحادثة ولم يلتفتوا إلى أديب العربية الكبير.

وحين أبلغ سعد زغلول بوفاة الأديب الكبير حزن عليه أعمق الحزن وذرف عليه الدموع السخية.

أما أحمد شوقي وحافظ إبراهيم فقد رثياه في مأتم مهيب أقيم له في وقت لاحق ولحق بهما كثير من شعراء الأقطار العربية في العراق والشام ولبنان فرثوه بأعذب الأشعار وأرق الكلمات.[٤]

**المبحث الأول:**

الدراسة الموضوعية وتشتمل على ما يلي:

أولاً: العنوان ودلالاته.

ثانيًا: الأفكار التي عالجها في مقالته القصصية.

أولاً: العنوان ودلالاته:

يعد العنوان (طاقة موجهة، حيث يجسد النص ويبرز واجهته الإعلامية، وقد تكون هذه الطاقة أو القوة إكراهًا أدبيًا لإخضاع الجهة المستقبلة)[٥]. ويرى جاك دريدا أنه يشبه (الثريا التي تحتل بعدا مكانيا مرتفعا يمتزج لديه بمركزية الإشعاع على النص) [٦].

وعنوان المقالة القصصية التي بين أيدينا "اللقيطة" وقد جاء العنوان جملة اسميه تدل على الثبات وعدم التحول مما يدل على أن الفتاة ضلت على حالها ولم تتعرف على والديها في نهاية القصة.

ولم يكن العنوان اسمًا لها فقط بل كان وصفًا ملازمًا لها أيضا في جميع أحداث القصة ولم يذكر لنا المؤلف اسما لها سوى اللقيطة مما يحمل شيئًا من الغموض.

إن العنوان (يومئ إلى أمر غائب في النص وعلى القارئ أن يبحث عنه لاكتشاف البيئة المولدة للدلالة والجديرة بأولية التحليل) [٧].

وقد عكس عنوان المقالة مضمون النص إلى حد كبير، وانطلاقا من دلالة العنوان واتكاء على اسم الكاتب، وبعض الألفاظ والعبارات السردية من قبيل "مر عظيم من عظماء المدينة بزقاق من أزقة الأحياء، وقف الرجل أمام هذا الموقف المحزن، ما اسمك أيتها الفتاة؟، يدعونني اللقيطة، لا أعرف لي أبًا ولا أمًا". فإن النص قيد الدراسة يعد من المقالة القصصية ذات الطابع الاجتماعي الواقعي، حيث تطرق الكاتب لفتاة لقيطة لا تعرف لها أهلا ولا يتجاوز عمرها الرابعة عشرة وما عانته من الرجل اللئيم الذي تبناها، بعد ذلك ظهر رجل عظيم من عظماء المدينة في طريقها وأخذ بيدها، يلي ذلك الأحداث التي حدثت لها في قصر الرجل، وأخيرا النهاية الحزينة لهذه الفتاة اللقيطة. فما الذنب الذي اقترفته هذه المسكينة؟

إن العنوان (اللقيطة) الذي أثبت في سطر العنوان هو قصة متقدمة[٨] تحمل البداية والعرض والنهاية، كل ذلك يحضر في ذهن المتلقي كلما عنت له لفظة اللقيطة التي حملت قصة كاملة الفصول.

وهكذا يبدو لنا أن العنوان والنص – كما يرى جيرار فينيه – يشكلان بنية معادلة كبرى، فالعنوان هو النص. (ويعني هذا أن العنوان عند جيرار فينيه بنية رحمية، تولد معظم دلالات النص، فإذا كان النص هو المولود، فإن العنوان هو المولد الفعلي لتشابكات النص، ومجمل أبعاده الفكرية والأيدلوجية).[٩]

**ثانيًا : الأفكار التي عالجها في مقالته القصصية:**

**أ ــ مشكلة اللقطاء ومصيرهم المؤلم:**

١ ــ نجد المقالة القصصية التي بين أيدينا تخص الجانب الاجتماعي؛ إذ تذكر مشكلة الفتاة اللقيطة وما تعانيه من ظلم المجتمع والحياة البائسة والحرمان وإحساسها بالضعف والوحدة.

٢ــ لجأ الكاتب إلى الرؤية من خلف ليكشف لنا كل شيء في القصة ولا يدع شيئا مخفيًا أو مبهمًا، فجاءت أحداث القصة محبوكة بدقة، ومسبوكة بعناية وحرفية، مترابطة الأجزاء تتميز بتسلسلها المنطقي وترابطها العضوي ارتباط الجلد بالعظم.

٣ــ عمل الكاتب على تبيان ما قد تعانيه الطفلة اللقيطة الوحيدة، التي تتلاعب بها أمواج القدر، فتخلّفها وحيدة دون من يعولها أو يتكفل بها، فتضطر إلى العمل وتحمّل معاملة الآخرين السيئة وظلم المجتمع مقابل أجر زهيد بخس بالكاد يسد رمقها ويؤمّن حاجياتها، وقصد إلى إبراز أن من يعاني إحساسا صعبا كالوحدة يؤلمه أن يرى آخر بنفس مرحلته العمرية، ويعيش طفولته بين والديه مدللاً عزيزًا، فيسعى إلى إسعاد نفسه.

كما أكد على أهمية الإيثار ودوره في إسعاد الآخرين وقد وظّف لذلك شخصيات رئيسة وأخرى ثانوية، والزمان والمكان خدما قصده ورؤيته السردية من الخلف، ونصل إلى إثبات صحة الفرضية وانتماء النص إلى جنس المقالة القصصية ويمكن القول إن الكاتب نجح في كشف ما قد تعانيه اللقيطة في حياتها المجتمعية.. كحزنها المستمر وحياتها البائسة القاسية وشعورها بالوحدة المؤلمة وضعفها واحتياجها لأي يد كريمة تساعدها وتعطيها شيئًا من الحنان.

**ب ــ مشكلة الأغنياء وعدم إشرافهم بأنفسهم على تربية أولادهم وتسليمهم للمدارس الأجنبية:**

من المعلوم أنه لا يوجد أب أو أم في الدنيا لا يحب أبناءه ويرغب في العمل لمصلحتهم ولكن من الحب ما قتل؛ فبعض الآباء يفهم خطأ أن الإغراق على الأبناء خاصة من الناحية المادية وتلبية جميع مطالبهم فورا دون أي تأخير هو قمة العطاء والتنشئة الجيدة، ولكن هذا في الحقيقة هو قمة الخطأ؛ فالاعتدال والإعداد الجيد الواقعي للحياة بحلوها ومرها هو ما سيفيد الأبناء حقًا في يومهم هذا وفي غدهم أيضًا. ونظرة واحدة إلى أبناء الأثرياء المدللين تؤكد صحة تلك النظرية، فأغلبهم ليسوا سعداء اليوم بما يغدقه عليهم آباؤهم ولن يكونوا سعداء غدًا سواء استمرت ثروات آبائهم أم لا، فالتدليل المبالغ فيه نتاجه الخسارة.

وقد تناول المنفلوطي ذلك وجسده في شخصية ابنة الرجل الثري التي كانت نهايتها مأساوية **على الوالد وابنته.**

**ج ــ مشكلة احتقار المجتمع للإنسان بسبب وضعه الاجتماعي والاقتصادي الذي غالبا ليس له يد في صناعته:**

المشكلة الحقيقية التي يعايشها اللقيط ليست في قلة المصروف أو المأكل والمشرب، بل هي فقدانه لحنان والديه، فالحالة النفسية والوضع الصعب في حكم المجتمع القاسي عليه تجعله أكثر عدوانية؛ ومن استطاع كفالة هؤلاء فقد نال الأجر والثواب في الدنيا والآخرة !! فاللقيط واللقيطة ليس لهم ذنب فيما حدث لهما، فلماذا لا نقف معهم وقفة إنسانية ونتعامل معهم بما أمرنا به ديننا الحنيف؟ والأكثر إيلاما هو أن هؤلاء مرفوضون من المجتمع وعندما يكبرون يواجهون مصاعب جمة في الحصول على عمل أو في الزواج، كل ذلك بسبب جريمة ارتكبت قبل أن يولدوا.

**المبحث الثاني:**

**الدراسة الفنية ويشتمل على ما يلي:**

**أولاً: تعريف المقالة القصصية.**

**ثانيًا: أنواع المقالة القصصية.**

**ثالثًا: خصائص المقالة القصصية.**

**أولاً: تعريف المقالة القصصية.**

عرفت المقالة بأنها نوع من الأنواع الأدبية النثرية، تدور حول فكرة واحدة، تناقش موضوعا محددا، أو تعبر عن وجهة نظر ما، تهدف إلى إمتاع القراء بفكرة معينة، أو إثارة عاطفة عندهم، ويمتاز طولها بالاقتصاد، ولغتها بالسلاسة والوضوح، وأسلوبها بالجاذبية والتشويق.[١٠]

كما أنها تتميز بالطابع الذاتي، وشدة الانفعال، ويتغلب الوجدان بحرارته على رزانة الفكر[١١].

وتتميز المقالة القصصية إضافة إلى ما سبق بارتكازها على عنصر السرد والوصف والحوار، حيث يحتاج كاتب المقال إلى تصوير الأحداث تصويرًا يعتمد على السرد الذاتي؛ إذ يقوم بسرد الأحداث على لسانه، ويتجه إلى تسجيل لقطات حية شاهدها ومواقف اجتماعية وإنسانية عاشها، وقد سخط عليها أو تعاطف معها، الأمر الذي يوفر لها الحيوية والفعالية، ويكسبها بعدا واقعيًا يجعل القراء أكثر قربًا منها وأكثر اقتناعًا بها.

إذن فالمقالي عندما ينزع إلى التصوير القصصي تكتسب كتابته اسم "المقالة القصصية"، وهي قريبة من الأقصوصة إلى حد بعيد؛ إذ تقدم حكاية أو جزءًا من حكاية.

إن هذه المرونة في شكل المقالة جعلت بعض الآثار الأدبية في مكان ما بين القصة القصيرة والمقالة كثيرة جدًا.

إذن فالمقالة القصصية هي ثمرة تمازج فن المقالة وفن الأقصوصة، فهي تبدو للمتلقي بعد أن هدم الفاصل بين هذين الفنين، وبعد أن امتزجا وانسجما أيما انسجام.

لقد نمت المقالة بصورة عامة والمقالة القصصية بصورة خاصة نموا سريعا في ظل الصحافة التي دفعتها إلى الأمام دفعات إيجابية، فوصلت إلى عدد كبير من القراء، وقد أخذت طرقها إلى القلوب والعقول، وما كان تبني الصحافة للمقالة إلا بسبب تلاؤم فن المقالة بطوله وطريقة معالجته مع النشر الصحفي؛ وأسلوب القص يتفوق على غيره من الأساليب حيث يجتذب القارئ ويمسك بزمامه ويستولي على عاطفته وعقله.

**ثانيًا: أنواع المقالة القصصية.**

**١ ــ البنية القصصية الجزئية.**

تعني المقالات التي لا تشكل فيها البنية القصصية مساحة كبيرة ولا تكون الغاية الأساسية للمقالة، وإنما تأتي لإلقاء الضوء على غاية المقالة كأن تكون أداة شرح وإيضاح واستدلال.[١٢]

**٢ــ البنية القصصية الكلية.**

هي المقالات التي يشكل فيها الطابع القصصي مساحة كبيرة في فضاء المقالة، ويأتي غاية في نفسه أي أن المقالة كتبت من أجله وهو يهيمن على مضمون المقالة حتى عنوانها.[١٣] ومقالة المنفلوطي التي بين أيدينا هي من البنية القصصية الكلية.

**ثالثًا: خصائص المقالة القصصية.**

لقد لاحظ أحد الدارسين أن بعض مقالات المنفلوطي تقترب من الشكل القصصي، فذكر أنه يمكن أن نعد ذلك من قبيل الأقصوصة المقالية، أو "المقالة القصصية" ذلك لأن هذا الشكل المقالي يجمع بين خصائص المقال وسمات الأقصوصة. ففيه من المقال "السرد والمباشرة والتعويل على الفكرة، مع التعليل

والتفسير والتعليق"، وفيه من الأقصوصة "الحدث والحركة والحوار ورسم الشخصية وتصوير المواقف".[١٤]

**والمقالة القصصية تتميز عن المقالة بخاصتين هما:**

١-أنها أميل إلى الذاتية، فكاتبها يطلق العنان لخواطره ومشاعره، كأنه شاعر ينظم قصيدة غنائية.

٢-أن الكاتب يمزج الخواطر والمشاعر بالسرد والوصف، فيحدث في الأسلوب ضربًا من التنويع، وبالتالي يخفف من الطابع الذاتي الذي يغلب على المقالة القصصية [١٥].

**المقالة القصصية ودورها الاجتماعي الإصلاحي:**

تتوجه المقالة القصصية غالبا إلى المجتمع لوصف الأحوال الاجتماعية، وبما أن المنفلوطي كاتب هذه المقالة القصصية أخذ على نفسه قيادة الإصلاح في المجتمع فإنه سلط عدسته الناقدة لتتبع الخلل الكبير في المجتمع من خلال استنهاض القيم الإنسانية لمحاربة هذا الخلل، والمقالة القصصية وعاء فني يتميز بمرونته التصويرية والتعبيرية التي تمكنه من عرض المشكلة الاجتماعية؛ فهي أداة مثلى تمكن الكاتب من القيام بدوره الريادي في الإصلاح، لذا فإن توظيف المقالة القصصية ضرورة ملحة للإصلاح الاجتماعي، وليست ترفا فنيا، بل هي قالب فني يسخره الأديب لمواجهة التخلف والجهل ومحاربة الرذيلة، ومواجهة الآثار السلبية الناجمة عن تأثر الشرق بالغرب في الأخلاق، وما سببه من تمييع للغيرة والقيم، وتضييع للفضيلة والحياء، وما تبع ذلك من تبرج واختلاط وسقوط للمرأة في وحل الرذائل. إن هذه الموضوعات وغيرها من أمراض اجتماعية يعد مادة ثرية خصبة لكتاب المقالة الإصلاحيين الذين وضعوا نصب أعينهم هدف التغيير في المجتمع، ولا شك أن مواجهة دعاة التحرر بالأسلوب الأمثل للرد عليهم ومواجهة أفكارهم التخريبية سيقوض هذه الدعوات، ويدحضها بأسلوب مؤثر فعال، فالمقال القصصي يستمد قوته من الفكرة الناضجة التي اقتنع بها الكاتب، ومن القالب الفني الفعال الذي كرسه لعرض فكرته على المتلقي من خلال المشاهد القصصية السردية التي أودع فيها أفكاره الإصلاحية للقضايا الاجتماعية.

ومما ساعد على قوة الأسلوب في مقالة (اللقيطة) حيوية القضية وحضورها في المجتمع، وقد أكسب المنفلوطي هذه القضية حيوية من خلال توظيفه للكلمات الموحية والصور الخيالية الرائعة من ذلك قوله): مر عظيم من عظماء هذه المدينة في زقاق من أزقة الأحياء الوطنية في ليلة من ليالي الشتاء، ضرير نجمها، حالك ظلامها، فرأى تحت جدار متداع فتاة صغيرة في الرابعة عشرة من عمرها جالسة القرفصاء وقد وضعت رأسها بين ركبتيْها؛ اتقاء للبرد الذي كان يعْبث بها عبث النكْباء بالعود، وليس في يدها ما تتقيه به إلا أسمال تتراءى مزقها (قطعها) في جسمها العاري كأنها آثار سياط المستبدين في أجسام المستعبدين.. وقف الرجل أمام هذا المشهد المحْزن المؤثّر وقْفة الكريم الذي تؤْلمه مناظر البؤس، وتزْعج نفسه مواقف الشقاء ثم تقدّم نحوها ووضع يده على عاتقها فرفعت رأسها مرتاعة مذعورة وهمّت بالفرار وهي تصيح: لا أعود لا أعود.)

من الواضح حرصه على تنويع الأسلوب بين التقديم والتأخير، والخبر والإنشاء، والوصل والفصل.

وقد أدرك المنفلوطي أهمية توفير الجمال في أسلوبه لإمتاع المتلقي فجاء سرده متسما بلمسات أكسبته الجمالية والتأثير، ولنا مع عناصر القصة التي أثرت في أسلوب المقالة وقفة متأنية.

سار المنفلوطي في مقالته وفق ترتيب أظهر براعته الأدبية، حيث جعل المقدمة تمهيدا لخص حياة اللقيطة، وجعله متصلا بالعرض، ومنتهيا بصورة طبيعية إلى الخاتمة والنتائج.

وقد ظهر الصدق والعاطفة الحارة في طرحه الذي جمع بين الإمتاع والإقناع ومرجع ذلك حسن اختياره للظاهرة المجتمعية الناتجة من انحراف أخلاقي تعدى حدود القيم والأخلاق بل حدود الإنسانية، ومع أن مشكلة اللقطاء ليست بجديدة إلا أن ملاحظة المنفلوطي الذكية، وعدم تأثره بغيره بأسلوب الطرح والمعالجة، وتأنيه وابتعاده عن إطلاق الأحكام التعميمية، وعدم تسرعه في تقديم النتائج، كل ذلك جعل مقالته القصصية تؤثر بالمتلقين على كافة اختلاف شرائحهم وميولهم ليقفوا وقفة رافضة ومواجهة للانحراف، والتنبه إلى أثر المدارس الأجنبية في الأجيال التي تتلقى في هذه المدارس الأجنبية قيما لا تمت للبيئة العربية بصلة.

**وقفات نقدية على مقالة المنفلوطي القصصية (اللقيطة):**

**أ- الأسلوب:**

أحدث المنفلوطي في جيله تغييرا نوعيا في عالم الكتابة، تبشر بانعتاق الكتابة الأدبية من أسر التقليد والصنعة المتكلفة، فهو تخلَّص من ركاكة الأسلوب الغارق في أوحال التراكيب التركية والعامية؛ فوظف الأدب للتعبير عن الواقع الاجتماعي ومعالجته معتمدا على الاقتباس، والإفادة من الأدب الهادف المترجم ونقله في قالب لغوي منفلوطي خاص كان فاتحة القرن العشرين في فن الكتابة الأدبية.

وقد كانت القصة من أبرز أدوات الإقناع عند المنفلوطي في تناوله لمختلف القضايا الاجتماعية في مقالاته الإصلاحية، فقد كتبها، وترجمها. وفي مقالاته جعلها حجة على ما يذهب إليه؛ فما نكاد نقرأ عملاً أدبيًا للمنفلوطي يخلو من سرد قصصي، فقد سخر تقنيات القصة من حوار وأحداث وشخصيات لتعبر عن أفكاره الإصلاحية، ومشكلات المجتمع التي كان يبحث عن حلول لها، فيقوم السلوك الاجتماعي ويعالج سلبياته بأسلوب مباشر أحيانا، وبأسلوب قصصي غير مباشر أحياناً.

وتعد الخطابية من سمات هذه المقالة اللفظية، وقد يؤاخذ الناقد المنفلوطي على خطابيته التي جاءت في خاتمته، ولكن برأيي ان عاطفة المنفلوطي الحارة والصادقة في رغبتها الأكيدة في الإصلاح فرضت عليه مد الصوت بالنداء بأسلوب خطابي منبه محفز لمواجهة هذه المشكلة العظيمة: يقول محمد يوسف نجم: (وامتاز المنفلوطي بأسلوبه الخطابي الذي كان تهذيبًا لأساليب أمراء البيان في عصور العرب الزاهرة، بحيث تلاءم مع حاجات الكتابة العصرية، وقد كان المنفلوطي يفلت من التقيد بتراث السلف في

الصور والقوالب، إلا انه احتفظ ببعض لوازم هذا الأسلوب كالإفراط في الترادف والتوازن، والإسهاب في عرض الأفكار وجلائها في أزياء مختلفة).[١٦]

لقد أخذ المنفلوطي على عاتقة هم تحريك الناس نحو الفضيلة، وكان دفع الناس للنهوض والسمو على أنفسهم وشهواتهم مغزى وهدفاً له في كتاباته الأدبية على اختلافها؛ فلا غرابة في بروز الخطابية في مقالته.

اهتم المنفلوطي بالتحليل النفسي الدقيق للشخصيات القصصية التي تمثل فئات اجتماعية مختلفة، وقد تميز تحليله بالصحة والمصداقية وهذا ناتج عن مطالعته لأحوال الناس ووقوفه على مشكلاتهم حيث تظهر معرفته الثاقبة في طبائع الناس وأخلاقهم.

استطاع المنفلوطي أن يوفر في مقالته عناصر المقالة؛ حيث جدد في أسلوب عرضه للفكرة الرئيسة التي نقدها والمتمثلة في جريمة (الزنا) النكراء، وما تخلفه من آثار وخيمة في المجتمع، وكذلك جدد في عرضه الفكرة الثانية وهي مسألة التربية الصحيحة للنشء، وقد ذكر رأيه وآراء العقلاء من خلال تسليط الضوء على مشاهده السردية التي عرضها في مقالة قصصية واضحة أفضت مقدمتها وأحداثها التي عرضها إلى نتائج مأساوية وفت بالغرض والهدف من كتاباتها، وقد عالج هاتين المشكلتين بأسلوب ظهرت فيه قدرته على الطرح الجديد الممتع الذي لا يصيب القارئ بالملل.

اهتم المنفلوطي بأسلوبه وقد صب فكرته بقالب قصصي سخر قدراته اللغوية والتصويرية لبث الحياة والواقعية في قصة اللقيطة لإيصال المغزى الذي رمى إليه للوقوف ضد الجرائم الأخلاقية، وقد اتسم أسلوب المنفلوطي بالوضوح والقوة والإمتاع، وكانت فكرة المنفلوطي الاجتماعية المتمثلة بمواجهة الانحراف الأخلاقي واضحة المعالم لديه لا غبش على رؤيته في مكافحتها وتقويمها لذا كان تعبيره متوافقاً مع أسلوبه الواضح.

عرف عن المنفلوطي عنايته بجمال العبارة وعدم التكلف، وتجنب التعقيد، وكان يهتم بإثارة العواطف، وقد تناسق ذلك مع طبيعة الموضوعات التي كان يتناولها والتي غلب عليها الطابع الاجتماعي والإصلاحي.

**ب- التقنيات الفنية في مقالة اللقيطة:**

ترتكز المقالة القصصية على عنصر السرد والوصف والحوار؛ وهذا يدفعنا لإلقاء الضوء على التقنيات الفنية ودورها في المقالة القصصية.

**١- السرد:**

السرد بنية لغوية تتعلق بحدث حقيقي أو خيالي، أو أكثر يقوم بتوصيله واحد أو اثنان أو عدد من الرواة لواحد أو اثنين أو عدد من المروي لهم [١٧].

والسرد لغة: التتابع في الحديث. يقال: سرد الحديث ونحوه يسرده سردا إذا كان جيد السياق له. وفي صفة كلامه صلى الله عليه وسلم: لم يكن يسرد الحديث سردا، أي يتابعه ويستعجل فيه [١٨]

والسرد مصطلح نقدي حديث يعني (نقل الحادثة من صورتها الواقعة إلى صورة لغوية).[١٩]

ويعرفه الناقد عدي مدانات بقوله: هو (عرض فني للحادثة أو الواقعة التي اختارها الكاتب، وهو أساس القصة وعمودها الفقري) [٢٠].

وقد كان السرد من أهم التقنيات التي اعتمدها المنفلوطي في مقالته، حيث كان يعتمده في تتبع الفضاء الزماني والمكاني لربط الشخصيات بالخلفية البيئية، وربطها بالحدث من أجل نقله للمتلقي لإقناعه بالرؤية الاجتماعية والفلسفية التي تبناها المنفلوطي وخطط لإيصالها للمتلقي بتقنية السرد، لذا كان يتوخى الدقة اللغوية في مقالته؛ ذلك أن عماد السرد يتمثل بالتراكيب اللغوية، إن السرد أو الوصف يساعد على التطور في الحدث، ونقل الحدث والمشاعر إلى المتلقي بعد أن يرويها بروح الكاتب وثقافته.[٢١]

لقد اعتمدت مقالة اللقيطة تقنية السرد والمباشرة والتركيز على الفكرة المعضدة بالتحليل والشرح والتقويم، وإضافة إلى ذلك فإن تقنية السرد تبدو في تتبع الحدث والحوار ورسم الشخصية بأحوالها المختلفة التي تخدم الفكرة التي وضعها الكاتب هدفه ومحل اهتمامه.

**٢- الشخصيات:**

وعندما نعود إلى "اللقيطة" نجد أن الشخصيات قد أدّت في القصة دورًا مهمًا في تحريك الأحداث وتطورها وجعلها مترابطة متكاملة، ونسج خيوطها والسير بها إلى النهاية عن طريق أفعالها وأقوالها وتحركاتها، من خلال شخصيات رئيسة وهي الفتاة اللقيطة والرجل الكريم والرجل اللئيم الذي تبنى اللقيطة وهناك شخصيات ثانوية مثل ابنة الرجل الكريم وشخصية الحبيب الذي تسبب في بداية العقدة والصراع. وبالإضافة إلى هذه الشخصيات نجد شخصية الوالدين اللذين تسببا في إنجاب هذه الفتاة البريئة وتركها وحيدة تصارع الحياة وآلامها.

وتبنت شخصية الفتاة اللقيطة وشخصية الرجل الكريم قيمًا خالصة حميدة مثلتها الفتاة؛ حيث تبنت قيمًا كالصبر والتضحية والكفاح والاعتماد على النفس والإيثار. كما تبنى الرجل الكريم قيم الرأفة وحب الخير ومساعدة الآخرين.

اتخذ المنفلوطي الطريقة الإخبارية، وتمثل الأسلوب المباشر الذي يعتمده الكاتب في وصف شخصيات المقالة القصصية، كما يصف الأشياء المتعلقة بها من أوصاف أو تركيبة نفسية أو طريقة تعامل وهكذا.

وميزة هذه الطريقة أنها تسرع في تقديم الشخصية للقارئ مما يساعد على فهمها ومعرفتها مبكرا وتوقعه لما يمكن أن يصدر منها، كما يعاب على هذه الطريقة أنها قد تقطع مسيرة التتابع والتدفق في أحداث القصة.

واتبع المنفلوطي الطريقة التحليلية في عرض شخصياته؛ حيث إنه وضح بشكل مبسط كرم الرجل العظيم والقيم الأخلاقية التي تبناها، ومدى أسى الفتاة وقوة الصبر التي تتحلى بها وعفتها وتضحيتها وخوفها على نفسها من الرجل اللئيم، كما وصف ابنة الرجل الكريم المدللة المتغطرسة المتأثرة بالتربية الحديثة.

كما نلاحظ أن المنفلوطي لم يذكر أسماء لشخصياته فهو جاء برجل عظيم نكرة، والفتاة اللقيطة لم يذكر اسمها بما يفتح للمتلقي المجال للإبحار في البحث وراء مدلولات الأسماء. واتخذ المنفلوطي أسلوب الضمير الغائب لسرد القصة.

**٣- الحبكة:**

اعتمد المنفلوطي في عرضه لفكرته بأسلوب قصصي على عنصر الحبكة، وقد جاءت الحبكة في (اللقيطة) منظمة، فلم يقدم حدثا على حدث بل جاءت وفق التنظيم الاعتيادي الذي يسير عليه الحدث القصصي في الواقع.

ومصطلح الحبكة يشير إلى (تخطيط) أو حبك شيء على نحو مقصود مخطط، وهو ما يفعله القاص: فهو يحبك خيوط العمل القصصي ليوصل القارئ إلى نتيجة ما. والحدث يكتسب أهميته من خلال الشخصية الرئيسة التي يوظفها القاص تكون مركز الاهتمام أو بؤرة الصراع.[٢٢]

والمنفلوطي وضع نصب عينيه إيصال فكرته ورؤيته الفلسفية، لذا وظف حبكته الفنية للنهوض بهذا الهدف فجاءت منظمة تسير وفق التنظيم التاريخي الطبيعي للحدث القصصي كما هو على أرض الواقع، فبدأ بعرض القصة من بدايتها، وقدم شخصياته الأساسية (الرجل الغني واللقيطة)، واعتنى برسم البيئة الزمانية والمكانية التي كانت فضاء للحدث الذي بدأت عقدته من أول لقاء حيث أدخلنا إلى الحدث القصصي بصورة تدريجية، وقد جعل شخصية ابنة صاحب القصر مؤثرة في نمو شخصية والدها وكذلك شخصية اللقيطة، وقد كان نموها وتفاعلها مع الحدث لا ينبع من ذاتها بل من سرد القاص، وقد طوّر العقدة بتركيز وسرعة لم تخل برسمه لمعالم الشخصية ظاهريا، حيث استطاع أن يصعد بجميع الشخصيات إلى اللحظة التي بلغت فيها الحبكة أقصى درجات التكثيف والانفعال عندما وجد الرجل الغني الرسالة التي أرسلها الرجل إلى ابنته للخروج معه في الليل، وقد أشرك الفتاة اللقيطة في الحدث فازدادت العقدة تأزما ثم بدأت تنفرج الأزمة بعد أن جعلت الفتاة اللقيطة نفسها مكان ابنة صاحب القصر، وقد كان هذا الحدث بداية لإنهاء التوتر، ولكن المنفلوطي يعود ليؤزِّم الموقف مرة ثانية؛ فقد جعل الأزمة التي رافقت والد الفتاة تستمر بعد أن انتحرت اللقيطة وظهر ندمه على طرده لها حيث تتشابك الخيوط أكثر من ذي قبل بعد وفاتها؛ إذ تتكشف ابنته على حقيقتها، ثم تتكشف التضحية التي قدمتها الفتاة المسكينة لستر عار ابنته؛ فقد سجل في حله للأزمة وختامه لها الصراع الفكري والعاطفي والديني الذي عاشته الشخوص التي تآزرت للتعبير عن فلسفة المنفلوطي.

وقد جاءت حبكة المنفلوطي حبكة صاعدة[٢٣] حين أبرز نجاح شخصية اللقيطة في واقعها النفسي والعقلي؛ فقد ألقت بنفسها بعد أن أحست أنها ردت جميل من أحسن إليها.

وكانت حبكته حبكة نازلة [٢٤] في ما آلت إليه شخصية صاحب القصر الذي تحطم نفسيا وعاطفيا وعقليا بعد أن جاءت نتيجة تعليمه لابنته وإنفاقه عليها وتضحيته من أجلها انحرافا وخيانة وتمردا على الفضيلة والعفاف والقيم النبيلة.

استطاع المنفلوطي أن يسمعنا صوته في (اللقيطة)، ويمكن أن نصنفه بأنه (الراوي الكلي العلم)[٢٥].

لقد كان المنفلوطي ينتقل بين شخصياته ويتحرك معلقا على تصرفاتها محللا لمواقفها من وجهة نظره، مصادرا لصوتها الداخلي في أغلب الأحيان، لذا لم نجد حضورا للمونولوج الداخلي. والمنفلوطي مصلح اجتماعي فلا غرابة ان يصادر صوت الشخصيات، وينطقها بما يراه مناسبا، ومتوافقا مع ما حدده من معلومات أراد أن يوصلها إلى القارئ، ومع أنه عني بإيصال ما حدده من معلومات إلا أن سرده اتسم بإجادة الحبكة الفنية التي حمت عمله القصصي من السرد الإخباري البحت، ويلحظ المتلقي عدم تسليم المنفلوطي لشخصياته زمام السرد، بل تولى ذلك، وشخصية المنفلوطي ومكانته الأدبية والإصلاحية أعطت المتلقي الثقة بطرحه، بل لا يكاد يختلف اثنان على أن تعليلات المنفلوطي وتفسيراته ناتجة عن بنيته العقلية والنفسية التي اتفقت مع شخصياته التي تتفق مع الواقع الاجتماعي.

**٤- لحظة التنوير.**

النهاية تفصح عن البداية المجهولة التي أتى بها المنفلوطي؛ ففي النهاية أتى بالعتاب على الوالد القاسي المتسبب في إيذاء براءة طفلة وجعل حياتها حياة بائسة حزينة كسيرة القلب. "فيا أيها الوالد المجهول، الذي قذف بتلك الفتاة البائسة في بحر هذا الوجود الزاخر، أعلمت قبل أن تفعل فعلتك التي فعلت أنك ستبرز إلى هذا العالم فتاة تلاقي شقاءه وآلامه ما لا قلب لها باحتماله ؟؟

كما أتى بالنصح إلى جميع الآباء. "ويا أيها الآباء العظماء: إن كنتم تريدون أن تسلموا بناتكم إلى هذه المدينة الغريبة تتولى شأنهن وتكفل لكم تربيتهن فانتزعوا من جنوبكم قبل ذلك غرائز الشهامة والعزة والإباء والأنفة حتى إذا رزأكم الدهر فيهن وفجعكم في أعراضهن وقفتم أمام ذلك المشهد هادئين مطمئنين لا تتعذبون ولا تتألمون".

ويا أيها الناس جميعًا: لا تحلفوا بعد اليوم بالأنساب والأحساب، ولا تفرقوا بين تربية الأكواخ وتربية القصور، ولا تعتقدوا أن الفضيلة وقف على الأغنياء وحبائس على العظماء، فقد علمتم ما أضمر الدهر في طيات أحداثه من رذائل الشرفاء وفضائل اللقطاء.

هكذا استطاع المنفلوطي أن يجمع فكرته الرئيسة في نهاية مقالته القصصية وأوقف المتلقي بصورة مباشرة أمام المغزى من هذه المقالة القصصية، وأبرز هدفه من مقالته بأسلوب مباشر، ومع ذلك لم تذهب

هذه المباشرة في الحديث رونق القصة الفني ولم تخل بأسلوبها المؤثر، ولا غرابة في ذلك فقد سطرها فارس من فرسان البيان، ومصلح اجتماعي حمل كلمته الرسائل الهادفة لبناء المجتمع وإصلاحه.

**٥- المغزى وعلاقته بتقنية الزمان والمكان:**

تركز المقالة القصصية على المغزى، أو وحدة الانطباع، ويجعل كاتب المقالة القصصية المغزى نصب عينيه، ويوليه جل اهتمامه، فهدفه الأول من دمج القصة في مقالته هو الإقناع بالقضية التي يؤمن بها.

والمنفلوطي كانت فكرته الأساسية من مقالته القصصية معالجة مشكلة العلاقات المحرمة، والاهتمام بتربية النشء تربية صحيحة، فجاء عمله القصصي متحدا مع هذا الهدف، وقد هيمنت عليه هذه الفكرة فتفاعلت عناصره القصصية لخدمتها، ومع اهتمام المنفلوطي بالمغزى ونصه عليه في نهاية مقالته إلا أنه نجح في حماية مغزى القصة من الانفصال عن تقنيات السرد المختلفة التي وظفها لإقناع المتلقي بالمغزى الذي رمى إليه؛ فقد جاء مغزاه منسجما نابعا من تفاعل مختلف التقنيات الفنية، فخرج بصورة طبيعية، بل إن الناقد الحصيف يمكنه تسليط عدسته الناقدة لقراءة اللقيطة من زاوية لم ينص عليها المنفلوطي في خاتمة مقالته القصصية، ومرجع ذلك هو قدرة المنفلوطي الأدبية في تصويره للبيئة الزمانية والمكانية في العمل القصصي، وقد وقفت على دلالة (النهر) المكان الذي اختاره ليكون نهاية (اللقيطة) والمتلقي يستطيع أن يبحر في دلالة الزمن، ليس الزمن الفيزيائي التاريخي الذي يحسب بالساعات والسنوات، بل الزمن النفسي أو العضوي الذي يقاس بتفاعلنا مع الزمن التاريخي الذي طواه المنفلوطي بنصف صفحة وهو يحكي بداية مأساة (اللقيطة) وأنهاه بالتقرير والوعظ الذي ختم به العمل القصصي، لكن أثر الزمن النفسي الذي تفاعل مع عمر الضحية المظلومة والبائسة اللقيطة ظل ينمو، ويحقق نموا خارج حدوده الزمنية التاريخية كلما قرأنا هذه المقالة القصصية أو عنت بأنفسنا قصة (اللقيطة).

ونستنتج **أن الزمان والمكان يشكلان** فضاءً تجري فيه الأحداث وتتحرك في ساحته الشخصيات، مؤدية أدوارها متفاعلة فيما بينها.

وقد جرت أحداث القصة في أغلبها ليلاً حيث قابلها الرجل ليلاً، وقرأ الأب الرسالة ليلاً، وقدمت الفتاة اللقيطة تضحيتها في الحديقة ليلاً. هذا عن الزمن الحسي، أما الزمن النفسي فقد ظهر اهتمامه به لارتباطه بتنظيم الحبكة، وذلك لأن الزمن النفسي يتيح للقارئ أن يدخل عقلية الشخصية القصصية، ويبدأ بملاحظة الشخصية مع المشكلة أو الموقف[٢٦].

وقد ارتبط الزمن الحسي (الليل) بظلامه الدامس مع طبيعة المشكلة الأخلاقية التي أنتجت مأساة اللقيطة، وبالتالي اتفق مع الزمن النفسي، وميزة الزمن النفسي في مقالة المنفلوطي القصصية أنه أظهر انفعالات اللقيطة، وعواطف الرجل الكريم تجاهه التي شهدت تحولاً وتغيرًا من الشفقة والرحمة إلى القسوة والازدراء، ثم إلى الألم والندم في نهاية القصة.

وإذا ولينا وجوهنا شطر الفضاء المكاني، نجد أن القصة حدثت أولاً في زقاق من أزقة الأحياء الوطنية حيث قابل الرجل الكريم الفتاة اللقيطة، ثم في القصر وحديقة القصر حيث وقفت الفتاة في موقف التضحية، ثم انتهى بها الحال إلى النهر.

والمنفلوطي جعل الزقاق نهاية مرحلة عاشتها اللقيطة جاوزت العشر سنوات، وهذه النهاية رسمت ما طواه الزمن من أحداث جلاها الحوار المكثف الذي دار بين الرجل الكريم واللقيطة عندما قابلها في الزقاق فلخصت له ما حوت السنوات في إجابتها التي لا تتجاوز خمس العمل السردي، وأما الفضاء الثاني فهو القصر وحديقة القصر، وقد شهد هذا الفضاء المكاني اصطراع الشخوص وانفعالاتها فيما بينها وفي ذواتها، وقد نجح المنفلوطي في تقريبه للحدث السردي وجعله ممكنا وقريبا من الواقعية من خلال تفعيل الفضاء الزماني والمكاني وتسخيرهما لحكاية الحدث؛ فقد كان المنفلوطي دقيقا في وصفه للبيئة المكانية؛ ففي الكتاب الذي يحمل موعدا بين ابنة صاحب القصر وعشيقها يقول: (دخل صاحب القصر قصره ليلة من الليالي، فبينما هو صاعد في السلم عثر برقعة ملقاة، فتناولها فقرأ فيها هذه الكلمة: (سيدتي: أنا منتظرك عند منتصف الليل في بستان القصر تحت شجرة السرو المعهودة حبيبك).

المنفلوطي في وصفه يرسم ملامح البيئة المترفة التي تجذب الأنظار، بينما نراه عند نقله للحوار بين الرجل الكريم والفتاة اللقيطة يظهر تواضعه وعدم تكبره، حيث أجرى على لسانه الحوار التالي: (أيتها الفتاة إني أحسنت إليك، واستنقذتك من يد البؤس والشقاء، فأسأت إليّ بما فعلت، حتى كدت أهلك حزنا وكمدا وألصق بابنتي ذنبك وأحمل عليها عارك، فاخرجي من منزلي، فاللئيم ليس أهلا للإحسان).

ودلالة الاسم (منزلي) لا يخفى على المتلقي ما تحمله من تواضع وعدم مباهاة، وهو بذلك جعل القارئ يقف على بعد من أبعاد شخصية هذا الرجل الثري الذي لم يؤثر الثراء على شخصيته فيتكبر ويعامل الفتاة معاملة فوقية قائمة على الفروق المادية.

أما الفضاء الثالث الذي شهد نهاية الحدث القصصي فهو النهر الذي يحمل دلالة الاتساع والاحتواء والنقاء والطهارة والحياة والغرق والموت والتلاشي، وقد جعل المنفلوطي هذا الفضاء (النهر) يحمل نهاية مأساوية، ولكنها مرضية لشخصية بطلة قصة اللقيطة: (فخرجت خائبة تتعثر في أذيالها، حتى وصلت إلى شاطئ النهر، وهنالك أخرجت مذكرتها من محفظتها، وكتبت فيها آخر كلمة خطتها أناملها: أحمد الله إني قدرت على مكافأة الرجل الذي أحسن إليّ بستر عاره، وإزالة همه وحزنه). ثم ألقت بنفسها في النهر، وما هي إلا دورة أو دورتان حتى افترق ذلك الصديقان الوفيان: جسمها وروحها، فطفا منهما ما طفا، ورسب ما رسب. وفي صباح تلك الليلة عثر رجال الشرطة على جثة الفتاة الشهيدة، فعرفوها، وعادوا بها إلى منزل سيدها، فبكاها بكاء كثيرا وندم على ما أساء به إليها من ردها وإزعاجها ثم أمر بدفنها، ولم يبق في يده من آثارها غير حقيبتها.

لقد نجح المنفلوطي في تحميل المكان (النهر) دلالة الطهارة والاحتواء والنقاء، ومع أن الموت والغرق كان معنى ماديا حقيقيا برزت دلالته في الحدث الواقعي إلا أن المنفلوطي جعله مقبولا لدى المتلقي من خلال سرده الموحي الذي بيّن أن هذه النهاية كانت مرضية للبطلة التي أنهى المنفلوطي حياتها بمصير يشبه مصائر الأبطال، والمنفلوطي أراد هذه النهاية لإخراج مغزاه من مقالته القصصية من خلال تقنيات العمل القصصي الحدث والشخصية المتلبسة به.

إن المكان الذي لم يسهب المنفلوطي في وصفه عايشته الشخصيات والمتلقي معايشة وجدانية وفكرية جاءت من امتزاج استجاباتهم الجمالية وانفعالاتهم بانفعالات الشخصيات القصصية في مواقفها، وقد جاء الزمن الحسي الذي غلب عليه الليل، وكذلك الزمن النفسي الذي اتحد مع المكان باختلاف فضاءاته وأشكاله جزء لا يتجزأ من حبكة القصة، وفاعلا في تسيير الحدث، وقد أجاد المنفلوطي بإسباغ الوحدة على عمله القصصي مما ساعد على دعم مقالته القصصية بحجاج قصصي خاطب العقل فأقنعه والوجدان فأترفه وأمتعه.

**ج- الخصائص العامة للعناصر القصصية في مقالة (اللقيطة):**

**نستطيع تلخيص خصائص العناصر القصصية في مقالة اللقيطة بما يلي:**

- استطاع المنفلوطي أن يطور من فن الحوار في اللقيطة للوصول إلى النهاية المنشودة.
- خفف من رتابة السرد وجدد في مفرداته الحوارية.
- ساعد في رسم شخصيات القصة مثل ابنة الرجل العظيم واستطاع أن يجعلها تبدو كاملة الوضوح والحيوية لدى القارئ.
- اهتم بتصوير عدة مواقف في اللقيطة بما يوضح الصراع العاطفي والحالة النفسية مثل: الخوف والكبت واليأس الذي جعل اللقيطة تقدم على النهاية المأساوية وهي رمي نفسها في النهر.
- العبارات التي اتخذها المنفلوطي في مقالته القصصية في الحوار سهلة واضحة نوعا ما، ولم تكن خالية من التلميح أو اللفظ الجذاب.
- ظهرت النبرة الخطابية في نهاية المقالة "يا أيها الآباء..." وهذا جانب النصح والوعظ.
- يؤخذ على المنفلوطي الإطالة في العبارات الحوارية.

وقد اتسم أسلوب المنفلوطي بالمباشرة والتقريرية والحضور الشخصي لذا لم نرَ انفصالاً بين الراوي وشخصية المنفلوطي، بل إنه لم يدع للمتلقي فرصة ليحكم على شخصياته القصصية والأحداث فنراه تدخل وأصدر الأحكام على الشخصيات، فهذا كريم، وهذه ابنته العابثة، وهذه اللقيطة ذات الأخلاق الفاضلة وهكذا.

**الخاتمة**

أحمد الله الذي بحمده تتم الصالحات وتزيد النعم. وفي نهاية هذا الدراسة يمكنني إجمال ما أسفرت عنه من نتائج فيما يلي:

١-أدت المقالة القصصية وظيفة نفسية فقد أسهم شرح السارد لنفسية البطلة وما مرت به من أزمات في إقناع المتلقي بوجوب الوقوف ضد الجرائم الأخلاقية.

٢- أسهمت المقالة القصصية إسهامًا متميزًا في حل المشكلات الاجتماعية فقد طرح المنفلوطي مشكلة اجتماعية مهمة وبيَّن الأضرار المترتبة عليها، وكيفية الإسهام في حل هذه المشكلة. وقد تمثل حل هذه المشكلة في رصد الواقع الاجتماعي لقضية الطفلة اللقيطة، ورصد معاناتها في مجتمع قاسٍ لا يرحم اضطرت للعيش فيه، وتحمل معاملة الرجل اللئيم القاسية لها، ونواياه الخبيثة لكسر قلب هذه الطفلة البريئة، وقد واجه المنفلوطي هذا الواقع البئيس بعمله الفني الهادف، وكما يرى (والتن ألن) أن القالب القصصي من أكثر الأنواع الأدبية لبث الوعي الأخلاقي، وذلك لأنه يجذب القارئ، وقد استطاع المنفلوطي بأسلوبه الفني واختياره لقصة "اللقيطة" أن يؤثر في المتلقي تأثيرًا إيجابيًا يغير من قناعاته حيال هذا الموضوع فقد وضح المعاناة التي عانتها الفتاة اللقيطة توضيحا دقيقًا؛ إذ شعرنا أنها أمامنا بوصفه الدقيق وتصويره للموقف ببراعة، واستطاع المنفلوطي أن يدمج المتلقي في الحياة المثلى التي يتصورها الكاتب، وتدعوه ليضع خلائقه تحت الاختبار إلى جانب أنها تهبنا من المعرفة ما لا يقدمه أي نوع أدبي آخر، وتبسط الحياة أمامنا في سعة وامتداد وعمق وتنوع.[٢٧]

٣-مزج المنفلوطي المقالة بالقصة؛ فخرجت لنا المقالة القصصية آخذة من القصة جاذبيتها وحيويتها، ومن واقعية الحياة مرارتها وخبرتها، ومن المقالة أسلوب الحث الذي يجعل الفكرة شرارة ومصباحا تضيء الطريق وتأخذ بالأيدي والعقول والنفوس إلى سبل الحرية والخلاص؛ لقد نجح الكاتب في توفير تقنيات القصة والمقالة في مقالته القصصية نجاحًا يظهر تمكنه من فن المقالة القصصية.

٤-أنطق المنفلوطي الشخصيات في مقالته بما يؤمن به من رؤى وما يريده من حلول، وهذا يتوافق مع طبيعة المقالة القصصية التي تتسم بالرؤية الذاتية للكاتب، بعكس القصة القصيرة التي تحقق نجاحا أكبر إذ اتسم طرح الكاتب بالموضوعية.

٥- أن المنفلوطي تدرج في طرحه من المعالجة التعليمية للوضع الاجتماعي بصفة عامة والمعالجة التعليمية للوضع الأسري المتخلخل الذي أوجد مأساة اللقيطة ومأساة تسليم النشء للمدارس الأجنبية لتربي فيهم ما تريد من القيم، وإلقاء الضوء مباشرة على المفاهيم والقيم التي تغيرت على المجتمع، وأخيرا إلى معالجة المغزى الأخلاقي والسلوكي والذي بدا ماثلا من خلال النموذج القصصي الواقعي، إذ يمثل مادة حجاجية وإقناعية تدعم ما استخلصه المنفلوطي من نتائج في نهاية مقالته القصصية.

٦- كشف البحث بعض ملامح شخصية المنفلوطي؛ فهو ناقد ومصلح اجتماعي واقعي، تبنى هم الشعب من خلال القصة والمقالة القصصية، وقد وفق في تأهيل أدبه للقبول عند أغلب فئات المجتمع الذي قدم إليه أدبه الموشح بالواقعية في تقديم الحدث والشخصيات المتلبسة بفضائها الزماني والمكاني.

**توصية:**

أولا: على المهتمين بالرسالة الهادفة للفن التمرس بفن المقالة القصصية كتابة ونقدا ومقاربة لمتابعة التجديد في الشكل الفني لاستيعاب الموضوعات الثقافية والاجتماعية التي يطمح الأدب لتقديم الحلول الناجحة الإسهام في معالجتها وتقويمها.

ثانيا: لفت أنظار الطلاب في المراحل الثانوية والجامعية لمقالات الإصلاحيين بمختلف أنواعها، والقصصية بصورة خاصة؛ لما تحمله من قيم ومثل تقدم بأسلوب أدبي يجمع بين جمالية الفن وأصالة الفكر.

**ملحق:**

**اللقيطة**

مر عظيم من عظماء هذه المدينة في زقاق من أزقة الأحياء الوطنية في ليلة من ليالي الشتاء، ضرير نجمها، حالك ظلامها، فرأى تحت جدار متداع فتاة صغيرة في الرابعة عشرة من عمرها جالسة القرفصاء، وقد وضعت رأسها بين ركبتيْها؛ اتقاء للبرد الذي كان يعْبث بها عبث النكْباء بالعود وليس في يدها ما تتقيه به إلا أسمال تتراءى مزقها (قطعها). في جسمها العاري كأنها آثار سياط المستبدين في أجسام المستعبدين.. وقف الرجل أمام هذا المشهد المحْزن المؤثّر وقْفة الكريم الذي تؤْلمه مناظر البؤس وتزْعج نفسه مواقف الشقاء، ثم تقدّم نحوها، ووضع يده على عاتقها، فرفعت رأسها مرتاعة مذعورة وهمّت بالفرار وهي تصيح: لا أعود لا أعود. فلم يزل يمسحها ويروّضها حتى هدأ روعها وعاد إليها رشدها وعلمت أنها ليست بين يديْ الرجل الذي تخافه فنظرت إليه نظرة لو أنها اتصلت بلسان ناطق وفم لحدثت عما وراءها من لواعج الأحزان وكوامن الأشجان..

ما اسمك أيتها الفتاة ؟ ؟

لا أعلمْ يا سيدي..

بماذا ينادونك؟؟

يدعونني اللقيطة..

وهل أنت لقيطة كما يقولون؟؟

نعم يا سيدي لأنني لم أعرف لي أبا ولا أمّا في الأحياء ولا في الأموات سوى رجل يتولى شأني ويأويني في منزله وكنت أحسبه أبي فيمتلئ قلبي سرورا به وعطفا عليه فلما رأيت أنه يعذبني عذابا أليما

ويحمّلني من أثقال الحياة وأعبائها ما لا يحمّله الآباء أبناءهم علمت أنني وحيدة في هذا العالم وفهمت معنى الكلمة التي يناديني بها، فألمّ بنفسي من الحزن والألم ما الله عالم به، وكنت كلما مشيت في الطريق ورأيت فتاة صغيرة سألْتها ألك أمّ؟ ؟ فتجيبني نعم، ثم تقصّ عليّ من قصص نعمتها ورفاهيتها وعطْف أمّها عليها ورأفتها بها ما يزيدني همّا ويملأ قلبي يأسا، حتى كان يخيّل إليّ أنني أذنبت قبل وجودي في هذا العالم ذنبا عاقبني الله عليه بهذا الوجود. بيد أني صبرت على هذا الرجل وعلى ما كان يكلفني به من التسوّل على قارعة الطريق إبقاء على نفسي وضنّا بحياتي أن تغتالها غوائل الدهر، وكان كلما رأى حاجتي إليه وإلى مأواه اشتطّ في ظلْمي ولؤم في معاملتي حتى صار يضربني ضربا مبرّحا كلما عدت إليه عشاء بأقل من المبلغ الذي فرض عليّ تقديمه في كل يوم ولم أزلْ أصابر وأتحمل منه ما يعجز عن احتماله مثْلي برهة من الزمان حتى جاءني الليلة بداهية الدواهي ومصيبة المصائب فقد حاول أن يسْلب من بين جنْبيْ جوهرة العفاف التي لم يبق في يدي ما يعزّيني عما فقدْته من هناءة الحياة ونعيمها سواها فلم أر بدّا من أن أفرّ من بين يديْه متسللة تحت جنْح الظّلام من حيث لا يراني وما زلت أمشي على غير هدى لا أعرف لي مذهبا ولا مضطربا حتى آويت إلى هذا الزّقاق كما تراني فهل لك يا سيدي أن تحسن إليّ مما أحسن الله إليك؟ ؟. وأنْ تبتاع لي رغيفا من الخبز أتبلّغ بها فقد مرّ بي يومان لم أذقْ فيهما طعاما ولا شرابا؟؟ .

لم يسمع الرجل من الفتاة هذه القصة المحْزنة حتى استقبلها بدموع حارة تنحدر على خديْه انحدار العقْد وهى سلْكه فانتثر. ثم أخذ بيدها ومشى بها صامتا واجما يكاد لا يهتدي إلى سبيله حتى بلغ قصْره وهناك صنع بها صنْع الكريم بأهله وأبلغها من دهْرها ما لم تكنْ تمنّي نفسها بالنزر اليسير منه وما هي إلا أيام قلائل حتى ظهرتْ في ذلك القصْر العظيم فتاة جديدة من أجمل الفتيات وجها وأرقّهن شمائل وأكرمهن أخلاقا وأكملهن آدابا لا يعرف عنها الناس سوى أنها ابنة قريب لصاحب القصْر مات عنها فخلّفها يتيمة فكان إلى هذا القصْر مصيرها ..

وكان لصاحب القصْر فتاة من الفتيات اللاتي ربّين التربية الحديثة التي يسمونها التربية العصرية ويريدون منها التربية الإفرنجية فكان كل ما حصلت عليه من العلوم والمعارف والفنون الآتية. الرطانة الأعجمية حتى مع خادمها الزنجي وكلبها الرومي، الولوع بقراءة الروايات الغرامية الفاسدة، البراعة في معرفة أي الأزياء أعلق بالقلوب والأجذب للنفوس، الكبرياء والعظمة واحتقار كل مخلوق سواها حتى أبوها، الأثْرة وحبّ الذات حبّا يملأ قلبها غيرة وحسدا حتى أنها لا تستطيع أن تسمع وصفا من الأوصاف الحسنة يوصف به غيرها. وقد رأتْ الفتاة اللقيطة أصبحت تقاسمها قلب أبيها وقلوب زائراتها من النساء بما وهبها الله من جمال الخلْق وحلاوة في الطبع وعذوبة في النفس فأضمرت لها في قلبها من البغض ما يضْمره أمثالها من اللاتي ربّين تربيتها ونهجن في الحياة منهْجها فكانت تتعمد الإساءة إليها وازدرائها

وتأنيبها، والفتاة لا تبالي بشيء من هذا وفاء لسيدها ووليّ نعمتها، وذهابا بنفسها عن النزول إلى منزلة من يغْضب لمثل هذه الهنّات حتى حدثتْ ذات يوم الحادثة التالية.

دخل صاحب القصْر قصْره ذات ليلة من الليالي فبينما هو صاعد في السّلّم إذ عثر بورقة ملْقاة فتناولها فقرأ فيها هذه الكلمات. سيدتي أنا منتظرك عند منتصف الليل في بستان القصْر تحت شجرة السرو المعهودة. حبيبك...فما أتمّ الرجل قراءة الورقة حتى دارت به الأرض الفضاء وحتى لمس قلبه بيمينه ليعلم هل طار من مكانه أم لا يزال باقيا ثم كأنه أراد أن يخفّف ما ألمّ بنفسه من الحزن والقلق فقال: ليت ذلك الموعد مع تلك الفتاة اللقيطة ومن الظلم أن أتعجل باتهام ابنتي قبل أن أقف على الحقيقة فنظر في ساعته فإذا الساعة قريبة.

فرجع أدراجه وما زال يترفق في مشيته وينتقل في الحديقة من شجرة إلى شجرة حتى وصل إلى شجرة اللقاء فكمن وراءها ينتظر ما خبّأ له الدهر من حدثانها وما أضمر له الغيب في طيّاته.. لم تكنْ الرسالة رسالة الفتاة الوضيعة بل رسالة السيدة الشريفة. وبينما كانت الثانية واقفة في غرفتها أمام مرآتها تختار لنفسها أجمل الأزياء وأليقها بموقف اللقاء كانت الأولى نائمة في غرفتها نوْما هادئا مطْمئنّا لا تزعجه زوْرة الطيْف ولا تروّعه أحلام الشباب. لقد تنبهتْ من نومها على صوت وقع أقدام سيدها على سلّم القصْر فأشرفت عليه من حيث لا يشعر بمكانها فعرفت كلّ شيء وعرفتْ أنّ سيدها سيقف على سرّ ابنته الذي كانت تعالج كتمانه زمنا طويلا وأنه لا بدّ قاتل نفسه في ذلك الموقف حزنا ويأسا فعناها من أمره ما عناها ثم أطرقتْ برأسها لحظة تتلمس وجْه الحيلة في سبيل دفْع هذه النازلة وتتطلب المخْرج منها ثم رفعتْ رأسها وقد قررتْ في نفسها أمرا.

نزلت مسْرعة من سلّم القصْر فرأتْ الفتاة قد خرجت من باب القصْر إلى ذلك الموعد فأدركتها وأمسكت بطرف ثوْبها فارتاعت الفتاة والتفتتْ إليها وقالت لها. ماذا تريدين مني أتتجسسين عليّ.

قالت لها. لا يا سيدتي. وأفْضتْ لها بالقصة من مبدئها إلى منتهاها فسقط في يدها وعلمت أنّ أباها قد وقف على سرّها فقالت لها. لا تزْعجي نفسك فإنّ أباك لا يعلم أيّتنا صاحبة الرسالة فعودي إلى غرفتك وسأذهب إلى الموعد مكانك حتى إذا رآني هناك ذهب من نفسه ما كان يخالجها من الشكّ في أمرك. ثم استمرتْ أدراجها حتى وصلتْ تلك الشجرة وهنالك برز الرجل من مكمنه واقترب منها حتى عرفها فحمد الله على سلامة شرفه وشرف ابنته. ثم قال لها أيتها الفتاة إنني أحسنت إليك واستنقذتك من يد البؤس والشّقاء فأسأت إليّ بما فعلت حتى كدت الليلة أهلك حزنا وكمدا إذ تصورْتها ابنتي ولكنه عارك وذنبك فاخرجي من منزلي فاللئيم ليس أهلا للإحسان. فخرجتْ خائبة تتعثر في أذيالها حتى وصلت إلى شاطئ النهر وهناك أخرجت مذكراتها من محْفظتها وكتبتْ فيها آخر كلمة خطّتْها أناملها.. أحمد الله أني قدرْت على مكافأة ذلك الرجل الذي أحسن إليّ بأنْ سترت عاره وأزلت همّه وحزنه.

ثم ألقتْ بنفسها في النهر وما هي إلا دورة أو دورتان حتى افترق ذلك الصديقان الوفيّان جسمها وروحها فطفا منها ما طفا ورسب منها ما رسب. وفي صباح تلك الليلة عثر رجال الشرطة بجثة الفتاة الشهيدة فعرفوها وعادوا بها إلى منزل سيدها فبكاها بكاء كثيرا وندم على ما أساء به إليها من طردها وإزعاجها ثم أمر بدفنها ولم يبق في يده من آثارها غير حقيبتها فحفظها في صندوقه تذكارا لها..

مرت الأيام تلو والأيام وجاءت الحوادث إثْر الحوادث وظهر للرجل من أخلاق ابنته وطباعها وتهتكها واستهتارها ما لم يكن يعرفه من قبل حتى ضاق بأمرها ذرعا وجلس في غرفته في إحدى الليالي يفكّر فيما ساق إليه الدهر من خطوبه ورزاياه ثم ألمّ به الضجر فقام إلى صندوقه يفتش فيه عن شيء يتلهى به فعثر بتلك الحقيبة ولم يكن فتحها قبل اليوم ليقرأ ما في مذكّراتها إذ عثر بتلك الكلمات الأخيرة التي كتبتْها الفتاة على شاطئ النهر قبل موتها فما أتى على آخرها حتى عرف كلّ شيء فسقط مغشيا عليه يعالج من الحزن والألم ما يعالج المحتضر من سكرات الموت وما استفاق من غشيته حتى صار يهذي هذيان المحموم ولبث على هذه الحال بضعة أشهر يمرض ثم يتعافى ثم يمرض ثم يتعافى حتى أدركته رحمة الله فمرض مرضا لم ينقض إلا بانقضاء أجله..

يا أيها الوالد المجهول الذي قذف بتلك الفتاة البائسة في بحر هذا الوجود الزاخر أَعلمْت قبل أن تفعل فعلتك التي فعلْت أنك ستُبرز إلى هذا العالم فتاة تلاقي من شقائه وآلامه ما لا قبل لها باحتماله ..

ويا أيها الآباء العظماء إنْ كنتم تريدون أن تسْلموا بناتكم إلى هذه المدنية الغربية تتولى شأنهن وتكفل لكم تربيتهن فانتزعوا من جنوبكم قبل ذلك غرائز الشهامة والعزة والإباء والأنفة حتى إذا رزأكم الدهر فيهن وفجعكم في أعراضهن وقفتم أمام ذلك المشهد هادئين مطمئنين لا تتعذبون ولا تتألمون ..

ويا أيها الناس جميعا لا تحْفلوا بعد اليوم بالأنساب والأحساب ولا تفرقوا بين تربية الأكواخ وتربية القصور ولا تعتقدوا أنّ الفضيلة وقف على الأغنياء وحبائس العظماء فقد علمتم ما أضمر الدهر في طيات أحداثه من رذائل الشرفاء وفضائل اللقطاء .

...

تمت

**المصادر والمراجع**


١. عدنان، خالد عبد الله، النقد التطبيقي التحليلي دار الشؤون الثقافية العامة ط١، بغداد، ١٩٨٦ م.
٢. ابن منظور لسان العرب مجلد م ٣ مادة سرد.
٣. البحيري، أسامه، مقارنات في السرد العربي، الانتشار العربي، ط ١، ٢٠١٢ م.
٤. حميداوي، جميل، "السيموطيقيا والعنونة". الكويت: مجلة عالم الفكر، المجلد٢٥-عدد٣ - يناير/ مارس ١٩٩٧ م.
٥. خالفي، حسن، البلاغة وتحليل الخطاب.ط١. لبنان: دار الفارابي، ٢٠١١م.
٦. عبد الباري، ماهر شعبان، التذوق الأدبي، النظرية والتطبيق، مكتبة المتنبي. الدمام ط١، ١٤٣٤هـ.
٧. عبد الدايم، صابر وحسين علي محمد، فن المقالة دراسة نظرية ونماذج تطبيقية، دار الكتب الحديث، القاهرة، ١٤٣٢هـ.
٨. عبد اللطيف، محمد منال. الخطاب في الشعر. ط١. عمان: دار البركة، ١٤٢٤هـ.
٩. عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، القاهرة.
١٠. فائق مصطفى. المقالة القصصية عند مصطفى كريم. www.alitthad.com
١١. القاعود، حلمي، تطور النثر العربي في العصر الحديث، دار النشر الدولي، الرياض ط١٤٢٩هـ.
١٢. قنديل، فؤاد. فن كتابة القصة، الدار المصرية اللبنانية، ط٢ _ ١٤٢٨هـ.
١٣. كاصد، سلمان. علم النص.ط١. الأردن: دار الكندي، ٢٠٠٣م.
١٤. كفافي، عطاء، المقالة الأدبية، ط، دار هجر، القاهرة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م.
١٥. ماهر شعبان عبد الباري، التذوق الأدبي، النظرية والتطبيق، مكتبة المتنبي. الدمام ط١، ١٤٣٤هـ
١٦. المبدل، منيرة، المقالة في أدب محمود عارف دراسة موضوعية وفنية، مطبوعات عمادة البحث العلمي، الرياض، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨.
١٧. الشنطي، محمد صالح، الأدب العربي الحديث، دار الأندلس، حائل، ط٢_١٤١٧هـ..
١٨. مداس، أحمد عمار. السيمياء والتأويل دراسة إجرائية في آليات التأويل وحدوده ومستوياته. ط١. إربد، الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠١١م.
١٩. مدانات، عدي، فن القصة وجهة نظر وتجربة، الأهلية للنشر، عمان ط١ / ٢٠١٠م.
٢٠. مصطفى حسين، أدباء سعوديون، الرياض: دار الرفاعي للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٤هـ. نقلاً عن www.alriyadh.com
٢١. مصطفى حسين، أدباء سعوديون ط١، الرياض: دار الرفاعي للنشر والتوزيع ١٤١٤هـ.
٢٢. المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ج٣، دار الثقافة، بيروت بدون تاريخ.
٢٣. نجم، محمد يوسف، فن المقالة، ط٤ /١٩٦٦م – دار الثقافة – بيروت – لبنان.
٢٤. وادي، طه، دراسات في نقدا لرواية، دار المعارف، القاهرة ط٣ ١٩٩٤م.

## الهوامش:

[1] – النظرات: مصطفى لطفي المنفلوطي، دار الثقافة، بيروت، بدون تاريخ، ج٣، ص٣٩

[2] – الأدب العربي الحديث. محمد صالح الشنطي _ دار الأندلس، حائل، ط٢_١٤١٧هـ.. ص٣١٦.

[3] – تطور النثر العربي في العصر الحديث. حلمي القاعود، دار النشر الدولي، الرياض، ط١٤٢٩هـ. ص٢١٣.

[4] – د. مصطفى حسين، أدباء سعوديون ط١، الرياض: دار الرفاعي للنشر والتوزيع ١٤١٤هـ. ص ٤٢ نقلاً عن www.alriyadh.com

[5] – عبد اللطيف، محمد منال. الخطاب في الشعر. ط١. عمان: دار البركة، ١٤٢٤هـ.ص ٧٠

[6] – كاصد، سلمان. علم النص.ط١. الأردن: دار الكندي، ٢٠٠٣، ص ١٥

مداس، أحمد عمار. السيمياء والتأويل دراسة إجرائية في آليات التأويل وحدوده ومستوياته.ط١. إربد، الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠١١م.

7 – مداس، أحمد عمار. السيمياء والتأويل دراسة إجرائية في آليات التأويل وحدوده ومستوياته، ط١، إربد، الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠١١م.ص٤٠

[8] – يعد العنوان من منظور غريماس(قصة متقدمة) تتقدم القصة وتعطينا فكرة مسبقة عنها. انظر حسن خالفي، البلاغة وتحليل الخطاب، ط١، لبنان: دار الفارابي، ٢٠١١م، ص ١٨٢.

[9] – جميل حميداوي، "السيموطيقيا والعنونة". الكويت: مجلة عالم الفكر، المجلد ٢٥ – عدد ٣ – يناير / مارس ١٩٩٧ م ص ٧٩ –١١٢.

[10] – منيرة المبدل، المقالة في أدب محمود عارف دراسة موضوعية وفنية، مطبوعات عمادة البحث العلمي، الرياض، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨و، ص:٦٧–٦٨

[11] – انظر صابر عبد الدايم وحسين علي محمد، فن المقالة دراسة نظرية ونماذج تطبيقية، دار الكتب الحديث، القاهرة، ١٤٣٢هـ، ص٢٥.

[12] – انظر مقال د. فائق مصطفى. المقالة القصصية عند مصطفى كريم.www.alitthad.com

[13] – انظر مقال د. فائق مصطفى. المقالة القصصية عند مصطفى كريم.www.alitthad.co

[14] د. مصطفى حسين، أدباء سعوديون، الرياض: دار الرفاعي للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٤هـ. نقلاً عن www.alriyadh.com

[15] انظر د. طه وادي دراسات في نقدا لرواية، دار المعارف، القاهرة ط٣ ١٩٩٤م ص ٦٤

[16] فن المقالة /محمد يوسف نجم ط٤ /١٩٦٦م – دار الثقافة – بيروت – لبنان ص ٧٨–٧٩

[17] أسامه البحيري، مقارنات في السرد العربي، الانتشار العربي، ط١– ٢٠١٢ ص ٩١

[18] – ابن منظور لسان العرب مجلد م ٣ مادة سرد ص ٢١١

[19] – عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ١١٣

[20] – عدي مدانات – فن القصة وجهة نظر وتجربة– الأهلية للنشر – عمان ط١ / ٢٠١٠م.ص ٢٧٧

[21] – فن كتابة القصة، فؤاد قنديل. الدار المصرية اللبنانية، ط٢ _ ١٤٢٨هـ ص ١٧٠

[22] – انظر النقد التطبيقي التحليلي، عدنان خالد عبد الله، دار الشؤون الثقافية العامة ط١، بغداد، ١٩٨٦ ص٧٦.

[23] – الحبكة الصاعدة هي التي تؤكد انتصار الشخصية الرئيسة أو نجاحها (النفسي، العقلي، العاطفي) المرجع السابق ص ٧٨

[24] – الحبكة النازلة يكون التأكيد فيها على تحطم أو اندحار الشخصية الرئيسية (سواء كان ذلك الاندحار نفسيا أو عقليا أو عاطفيا). السابق ص ٧٧

[25] – الراوي الكلي العلم يمكن تعريفه بأنه الراوي الذي يملك حرية الحركة والتنقل بين مختلف عوالم الشخوص القصصية، وله القدرة على رؤية ما يراه ويسمعه وحجبه عن القارئ، إضافة إلى ذلك يمتلك الراوي كلي العلم (حرية التعليق على تصرفات الشخوص وتفسير تصرفاتهم، ويسمى أحيانا بالراوي (الشامل) أو (المتنقل) أو المتعدد). انظر النقد التطبيقي التحليلي، عدنان خالد عبد الله ص ٨٦

[26] – انظر النقد التطبيقي التحليلي، عدنان خالد عبد الله، دار الشؤون الثقافية العامة ط١، بغداد، ١٩٨٦ ص٨١.

[27] – انظر التذوق الأدبي، النظرية والتطبيق د.ماهر شعبان عبد الباري، مكتبة المتنبي. الدمام ط١، ١٤٣٤هـ. ص٤٥٢_٤٥٣